

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة الثانية

السيرة النبوية

الدكتور: أحمد فرج

مفهوم السيرة النبوية ومصادر دراستها :

كلمة السيرة مشتقة من الكلمة السير، والسير يعني المشي والحركة، بينما السيرة تعني طريقة المشي والحركة والسلوك .

وبعبارة أخرى : السيرة عبارة عن الأسلوب والنمط الذي يتبعه الإنسان في حياته وفي أعماله اليومية. وعندما نبحث في السيرة النبوية، فإننا نريد التعرف إلى الأسلوب والنمط الذي كان يتبعه النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) في أعماله اليومية ، للوصول إلى أهدافه النبيلة ، مثلاً : كيف كان سلوكه ؟ كيف كانت أخلاقه وعلاقاته بأصحابه وزوجاته ومجتمعه ؟ كيف كان يبلغ رسالته السماوية ؟ ما هي الأحداث التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله ؟ وكيف كان يتعامل معها ؟ كيف كان يقود مجتمعه في الجوانب كافة ، إدارياً وسياسياً واقتصادياً وتربوياً وتعليمياً واجتماعياً ؟ وغير ذلك من الكثير . وتنتجـى هذه السيرة في مجموع أقوال المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم ومواقفهم تجاه الأحداث والظواهر المختلفة، التي عاصروها وعاشوها منذ بعثة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى انتهاء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر المهدى المنتظر (عج) .

وقد اهتم القرآن الكريم ببيان سيرة الأنبياء (عليهم السلام) والصلحاء ، ودعا إلى الاقتداء بسيرتهم، والاعتبار بسيرة الغابرين والاتّعاظ بها، كما دعا وأكد على الاهتمام بسيرة خاتم الأنبياء وسيدهم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، وحثَّ المسلمين على الاقتداء برسوله الكريم في قوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْنَةً حَسَنَةً » ثم أمر المسلمين جميعاً بالالتزام بما يصدر عن رسوله الذي لا ينطق عن الهوى بقوله تعالى : « وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » ، ومن المعلوم أن السيرة العظيمة للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) قد تعرضت للكثير من الجعل والافتراء والتشويه على أيدي الكثرين من حكام ومندوبيهم .. حيث كانت لدى هؤلاء خطأ خبيثة تستهدف النيل من شخصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسيرته ، وقد نفذت هذه الخطأ عن طريق دسّ نصوص

مُخْلِفَةٌ وَمُزِيفَةٌ فِي كُتُبِ السِّيرَةِ وَالتَّارِيخِ تُسَيِّءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَتُنَسِّبُ إِلَيْهِ مَا لَا يُلْقِي بِهِ .

مصادر دراسة السيرة النبوية :

إذا عرفنا أهمية دراسة السيرة وما لحق بها من تشویش وتحريف ، كان من الضروري جداً أن تكون صورة واضحة ونقية عن حياة وسيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأن نعتمد على مصادر صحيحة ، ومعايير وضوابط تكون قادرة على إعطائنا الصورة الحقيقية الأكثر نقاء وصفاء عن شخصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، وتكون قادرة أيضاً على تمييز الجانب المُصطنع والمُزيف عن الصحيح وباعده عن محيطنا الفكري والعملي بصورة كاملة ، وفق ضوابط ومعايير حقيقة .

لقد تعرض تاريخ خاتم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسنته من بعده للتحريف وهي حقيقة لا يشك فيها أحد ، ذلك لأننا لو رجعنا للمصادر المعتبرة لدى المسلمين حول تاريخ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسنته لوجدنا الروايات مختلفة ومتناقضة في وصف كثير من الواقع التاريخية أو السلوكية للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وهذا التناقض والاختلاف واسع وكبير ، حيث صورته على أنه أقل من مستوى الإنسان الاعتيادي في مختلف مجالات الحياة ، فهو يلعن الآخرين من غير استحقاق ، ولا يصبر عن النساء ، الأمر الذي يفرض عليه أن يصطحب معه في كل غزوة واحدة من نسائه ، وغيرها الكثير من الامساكبات التي سيأتي بيان بعضها في قادم الصفحات .

هناك عدّة مصادر يُمكّننا بالاعتماد عليها أن نستخلص معالم شخصيّة النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَالْهُوَ اٰللّٰهُ وَسَلَّمَ) وتفاصيل حياته وسيرته وهي :

أولاً : القرآن الكريم : لقد قدم القرآن الكريم صورةً واضحةً ورائعةً عن شخصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وصفاته وخصائصه وموافقه في كثير من السور والأيات ، ويستطيع قارئ القرآن من خلال التدبر التام في الآيات التي نزلت في شأن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أن يحيط بالكثير من جوانب شخصيته العظيمة وحياته ،منذ أن بعثه الله تعالى للبشرية وإلى أن فارق هذه الدنيا . فقد أشار القرآن مثلاً إلى مكانة النبي (ومنزلته وعظمته) (صلى الله عليه واله وسلم) ، في كلٍ من سور الحجرات والنور والأحزاب وغيرها، وأشار إلى أسمائه وألقابه (صلى الله عليه واله وسلم) في سور الصاف وال عمران والمائدة ، وإلى صفاته وخصائصه (صلى الله عليه واله وسلم) ، كالعصمة والطهارة والرقة والرحمة والعطف والشجاعة ، في كلٍ من سور آل عمران والتوبية والأحزاب والأنبياء وغيرها ، وأشار

الوجيز في السيرة النبوية و . و . أحمد داخل خلاطى

القرآن إلى أخلاقه وصبره وثباته (صلى الله عليه وآله وسلم) في موقع التحدي ، وإلى طريقة تبليغه للرسالة، وإلى مواقفه من عدم استجابة قومه لدعوته وغير ذلك مما يرتبط ب حياته وسيرته ، في كثير من الآيات والسور ، فالرجوع إلى نفس القرآن لاستخراج سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعتبر من أوثق وأصح الطرق والمصادر لدراسة السيرة النبوية الصحيحة .

ثانياً : النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) :

التي عرضت سيرة وحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن هذه النصوص تُعتبر في الأهمية بعد القرآن الكريم ؛ لأن أهل البيت (عليهم السلام) أدرى بما فيه ، وهم الأئمة المعصومون الذين يحملون العلم الإلهي ... وعندهم علم الكتاب وعلم ما كان ويكون بإذن الله تعالى ، وليس لأحد - كائناً من كان - أن يُناقش فيما يُنقل بطريق صحيح عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، الذي لازم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع مراحل حياته ، وكان يَتَّبعه اتباع الفضيل أثر أمه ، ويراه في الأوقات التي لا يراه فيها غيره .

وقد ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مئات بلآلاف النصوص والروايات، التي تحدثت عن حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العامة والأحداث الكبرى التي عاشها في حياته ، وعن سيرته الذاتية والخاصة .

ثالثاً: الروايات التاريخية المرويَّة بالتواتر عن المسلمين الأولين : فالنصوص المرويَّة عن الآباء من الصحابة الذين لا يميل بهم هو عن جادة الحق ، والتي تتحدث عن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، تُعتبر من مصادر السيرة والتاريخ إذا ثبتت صحتها بالتواتر أو بإحدى وسائل الإثبات الأخرى .

رابعاً : كتاب المغازي والسير : ومن أشهرهم (سعید بن المسیب ت ٩٤ هـ - عروة بن الزبیر ت ٩٤ هـ - أبان بن عثمان بن عفان ٩٦ هـ - الشعبي ت ١٠٣ هـ - ابن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ - محمد بن إسحاق ت ١٥١ هـ) وغيرهم الكثير .

وأفضل من كتب في السيرة النبوية هو ابن إسحاق ت ١٥١ هـ ، فقد أكد على الكثير من المعلومات الشاملة ، وذكر الكثير عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد اعترف اغلب العلماء في إن شخصية ابن إسحاق كانت مُتحركة في هذا المجال ، وقد نال ابن إسحاق شهرة واسعة على يد تلاميذه اضافه إلى تبوييب وتنسيق المواضيع التي ذكرت في كتابه (السيرة النبوية) ، وهناك عوامل كثيرة دخلت في منهج المؤلف منها :

الموجيز في السيرة النبوية م . م . أحمد داخل خلاطير

(١) انه جمع بين الأسلوب القصصي والأخبارى .

(٢) عملية عرض المادة التاريخية تناول فيها الجانب الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي .

بعد وفاة ابن إسحاق ظهرت عليه حملة كبيرة تبناها عدد من العلماء على رأسهم مالك بن أنس وعروة بن الزبير ، وهذا التحامل على ابن إسحاق لاته اظهر تشيعه لعترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان من اصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ، كما أنه أورد الكثير من المعلومات التي لا ترقى للبعض خاصة في العصر العباسي وهذا بطبيعة الحال جعل كتاب البلاط العباسي يتبنون تلك الهجمة على ابن إسحاق واتهامه بالتدليس ، لذلك شُطبَّت الكثير من المعلومات التي ذكرها ابن إسحاق، بحجة أنها تحتوي على اشعار وبعض المعلومات ، ولكن السبب الحقيقي لأنَّه أورد معلومات وفضائل بحق الإمام علي (عليه السلام) والسيدة الزهراء (عليها السلام) وهذا ما لا ترتضيه السلطة الأموية وكذلك العباسية التي عطلت كتابة السيرة لسنوات بسبب هذه الأخلاق العلمية التي لا تتلام مع مصالحهم ، واعتمدوا على سيرة ابن هشام ت ٢١٨ هـ التي حذف منها كل ما لا يروق للسلطة .

ضوابط السيرة الصحيحة :

أهم الضوابط والقواعد التي ينبغي اعتمادها في تصحيح السيرة هي :

١ / دراسة أحوال وأوضاع الناقلين للحديث : فإنَّ أول ما ينبغي ملاحظته في الحديث المنقول السنداً : وهو عبارة عن مجموع أسماء الأشخاص الذين نقلوا لنا الحديث أو الحدث التاريخي ، فلا بد من دراسة أحوال وأوضاع هؤلاء الرواة لمعرفة ميلولهم وارتباطاتهم السياسية والمصلحية ، ومدى صدقهم ودقّتهم فيما أخبرونا به ، لتحديد مدى امكانية الوثوق والاعتماد على نقلهم ، وطبعيًّا أنَّ من عُرف عنه أنه يكذب في خبره أو لا يدقق في نقله ، لا يمكن الاعتماد عليه ، إلا بعد أن تتأكد من صحة ما نقله من مصادر وجهات أخرى ، وكذلك من عُرف عنه أنه ينساق وراء أهوائه السياسية أو المذهبية أو المصلحية ، لا يمكن الأخذ بما ينقله لنا من مرويات ، لأنَّه يكون بذلك قد أخل بدرجة الوثوق والاطمئنان .

٢ / انسجام مضمون النص مع صفات وخصائص الشخصية النبوية ومميزاتها المثالية والرسالية ، عندها يكون مقبولاً ونأخذ بمضمونه إذا توافرت فيه سائر شروط القبول الأخرى مثلًا : إذا ثبت لدينا بالدليل القطعي الصحيح ، أنَّ شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي في أعلى درجات الطُّهر والعصمة والحكمة والشجاعة ، وأنَّه يتحلى بكلَّ الصفات النبيلة والفاصلة ، جاماً لكلَّ القيم الإنسانية السامية ، فلا بدَّ من جعل كلَّ ذلك معياراً وميزاناً لأي نصٍّ يُروى بشانه ، أو يُريد أن يُسجل لنا قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو

موقعاً له (صلى الله عليه واله وسلم) ، فإذا لم يكن النص منسجماً مع هذه الخصائص والمميزات الثابتة بالدليل القطعي الصحيح فإنه لا يمكن قبوله ، كما لو نسب النص والعياذ بالله ، الرذيلة أو الفجور لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أو عبادة الأصنام ، أو التصرفات التي تُعبّر عن جهله أو عدم اتراثه، فإننا لا نتردد في رفض مثل هذا النص ، كذلك لا نقبل أن تُنسب إلى أحدٍ من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تصرفات لا تليق بمقامهم الثابت .

٣ / عرض النصوص على القرآن الكريم :

هذه قاعدة لا بد أن نعتمدها في كل الأحاديث المنقوله عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أو عن أحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) سواء أكانت تاريخية أم فقهية أم أخلاقية أم غير ذلك ، فما وافق كتاب الله نأخذ به وما خالفه نتركه ، فقد رُوي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال : "تكثر لكم الأحاديث بعدي ، فإذا رُوي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، مما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالف فردوه" ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: "ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو رُخْف".

٤ / عدم التناقض والتنافي بين النصوص : فإن وجود التناقض فيما بينها يُشير إلى وجود نص مجهول، أو تعرّض النص لتصريف ما أزاله عن وجيهه الصحيح، الأمر الذي يستدعي مزيداً من الانتباه ، وبذل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من المُزيف منها .

٥ / عدم مخالفة البديهيات والضرورات العقلية الثابتة : ومن ذلك قولهم : إن الله عادل وحكيماً ، ولكنه يُخبر عباده على أفعالهم (عقيدة الجبرية) ، ثم يُعاقبهم عليها وقولهم : إنه تعالى لا يحدّه مكان ولا جهة ، ثم يقولون إن له ساقاً وقدماً وأصابع ، وما إلى ذلك مما لا يقبله العقل والمنطق .

٦ / عدم التناقض مع الثوابات التاريخية القطعية : فإذا كان من الثابت أن الإسراء والمعراج قد حصل قبل الهجرة ، وثبتت أن عائشة انتقلت إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد الهجرة ، فلا يمكن بعد هذا تصديق النص الذي يُنقل عن عائشة نفسها من أنها قالت : ما فقدت جسد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في تلك الليلة ؛ يعني ليلة الإسراء والمعراج .

٧ / عدم مخالفة الأحكام العقلية والفطرية السليمة : ومن ذلك حكم العقل بوجوب عصمة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام (عليه السلام) عن الخطأ ، فالنص الذي يريد أن يُنسب إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام المعصوم (عليه السلام) خطأً معيناً، لا نتردد في رفضه ولا نشك في أنه من الأخبار المصطنعة .